أهمية توظيف اللغة العربية في مهنة التدريس

**من أجل تجويد مخرجات العملية التعلمية**

**حافظ لصفر مزداد سنة 1975 بكالوريوس في شعبة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع//ماجستير إدارة الموارد البشرية//ماجستير في الإدارة التربوية//ماجستير في القيادة //باحث دكتوراه في علم الاجتماع.**

**تقديم**

تتم العملية التعليمية-التعلمية في جميع التخصصات وبكل مستوياتها، عن طريق استعمال اللغة، هذه الأخيرة التي تعد قناة رئيسية في إيصال الخطاب العلمي-التعليمي، الذي يحقق ثنائية الفهم والإفهام من قبل المعلم والمتعلم، وفق تخطيط مدروس يتلاءم مع كل تخصص، ويحقق أهدافه بأبسط الطرق وأفضلها، ولعل العملية تزداد تعقيدا عندما تكون اللغة وسيلة وغاية معا، إذ يكون **لاكتسابها** دور في **توصيلها** والعكس صحيح، ومن ثم ينبغي أن تكون لغة التعليم تجمع بين التبسيط وسلامة الأداء، لتنسجم مع لغة المضامين الدراسية المقررة، والتي تشترك في تقديم محتوى اللغة العربية بمتون(نصوص) أدبية ذات مستويات بلاغية، يجد فيها المتمدرسون صعوبات كثيرة، نتيجة لانتشار العامية وتداخلها مع الفصحى، التي تدرس بها المقررات. والهوة تزيد مع استعمال المدرسين لمزيج لغوي من لغة المقرر "الفصحى" والعامية(الازدواجية اللغوية). ومن هذه المنطلقات الواقعية، سأقارب خصائص ومميزات لغة التعليم، لتحقق أهدافها ضمن شروطها العلمية في واقعنا التعليمي، من ناحية الأبعاد الحجاجية –الاستدلالية لتكون مفهومة ومقنعة، ومن ثم تفي بالهدف المنشود منها، والمتمثل في إكساب المتعلمين الجدارات اللغوية والتواصلية اللازمة، لجعل اللغة العربية الفصحى لغة للتواصل في المدارس، مما يحتم طرح التساؤلات التالية:

- ماهي خصائص لغة التعليم المناسبة والهادفة لتجويد التعلمات؟ ألا تقف اللهجات العامية والمصطلحات الأجنبية معيقا لكل عمل تعلمي-تعليمي يجود العملية التعليمية ويرفع من حصيلتها؟

- كيف يمكننا أن نجعل لغة التعليم وسيلة لإيصال المعارف باختلافها لدى المعلمين؟ كيف نجعل منها وسيلة للتعبير عن مختلف الأفكار والحاجيات لدى المتعلمين؟

-هل تؤثر اللغة المنطوقة( من قبل المدرسين والمتعلمين) في صفوف التدريس على مستوى اكتساب وفهم لغة محتويات المقررات الدراسية؟

- ما المعايير والشروط اللغوية التي تمكّن المدرس من أن يكون متكلما فعالا مستعملا للغة العربية الفصحى بشكل جيد وناجع داخل الصف الدراسي؟ وما هي الطرائق الفعالة التي يمكن له أن يتبعها للتأثير في أفهام وأذهان المتعلمين وتوجيه مدركاتهم وقدراتهم؟

اتبعت في كتابة المقالة البحثية منهجا وصفيا اهتم بالخطاب المدرسي في مرحلة السلك الابتدائي لدى أساتذة اللغة العربية، وذلك من خلال المقارنة بين لغة النصوص المبرمجة في المقرر الدراسي واللغة المتمفصلة(المنطوقة)المستعملة لدى أساتذة المادة التي تتطلب منهم تقريب المعلومات باستعمال الدارجة، في حين يتمسك بعضهم بلغة فصيحة بسيطة باستعمال الأدوات والآليات الحجاجية: كالوصف والتفسير والاحتجاج والدحض والنفي والإثبات...بنصوص مألوفة لإيصال المعلومة والمعرفة دون تجاوز اللغة المدرسية الرسمية، وهي قضايا متداخلة تستلزم من الباحث في الميدانين :علوم اللغة والوقوف على أهمية التكوين في اللغة التعليمية وتحصيل أساليب الخطاب وفنونه المتناغمة مع مستويات المتعلمين وقدراتهم، وضبط الجدارات المراد بلوغها، وبالحيّز الزماني والمكاني لتحقيق التواصل التعليمي بين عناصر العملية التعليمية-التعلمية وهي : المعلم/ المتعلم/ المحتوى التعليمي /العلاقة التداخلية بين العناصر الثلاثة.

**إن** الدراسات اللسانية الحديثة بكل فروعها وتخصصاتها و إنجازاتها اللغوية العلمية والتعليمية، كان لها الأثر البالغ في حل الكثير من المعضلات المتعلقة باللغة عموما، ولعل أهم ما يمكن رصده عمليا هو ما قدمته على المستوى التعليمي للغات، ونظرا للأهمية التي تكتسيها عملية تعليم اللغات باعتبارها المدخل لتعلم المعارف الإنسانية وكل ما يتعلق بها من جهة، وما تطرحه تعليمية اللغة من صعوبات ومشاكل من جهة أخرى، توجهت اهتمامات الباحثين إلى تعميق الجهود لتتبع هذه المشكلات للبحث عن حلول لها، ومن الطبيعي أن تكون الدراسة اللسانية أكثر الميادين الملائمة لكل ما يتعلق بدراسة اللغة، فقد قدمت اللسانيات **مناهج لغوية متنوعة لتعليم اللغات للناطقين بها والناطقين بغيرها** والبحث في طرق اكتسابها، وما يتعلق بها من صعوبات والبحث عن حلول لها، لذلك ارتأيت في المقالة بسط ما وفرته اللسانيات التداولية، وما يمكن أن تقدمه لتعليم اللغة أو اللغات باعتبارها منهجا فرض نفسه، وأثبت نجاعته في قراءة النصوص الأدبية وتحليل الخطابات التواصلية، كما أنها قد أحدثت الأثر الكبير في الجوانب التعليمية سواء تعلق الأمر بتعليمية اللغة الأم أو اللغات الأجنبية، وذلك لأن **التداولية** منهج يقوم على **ثنائية "التوظيف والتواصل"**، وإنجاح العملية التعليمية باكتساب المعارف اللغوية وغير اللغوية يعتمد أساسا على هذين الثنائيتين، باعتبار أن عناصره الأساسية ( المدرس والمتعلم ومادة التعلم )تحتاج في تأدية وظائفها على التواصل بين أطرافها، فالمدرس (الملقي)والمتعلم( المتلقي)والمادة اللغوية( المضمون التعليمي) وتفاعلاتها الإيجابية،وقد تتغير العلاقة، فيصبح المرسل متلقيا والمتلقي مرسلا إذا كان المتعلم في حالة إجابة عن سؤال أو تحرير تعبير شفوي أو كتابي أو تعليق أو كتابة تقرير...كما أن للغة طابعها الرمزي المبدع الدال لقول إميل بنيفينيست (الرمز ليس له علاقة طبيعية بما يرمز اليه، فإنه لابد من توفر القدرة على تأويله في إطار وظيفته الدالة ) [[1]](#footnote-1).

**1\_واقع اللغة الوصفية في التعليم :**

قبل الخوض في الحديث عن لغة التعليم وخصائصها الإبستمولوجية والإجرائية، وكيف ينظر إليها من ناحية الاستثمار والتوظيف والفهم لدى المتعلمين، يجدر بنا أن نبين الفرق بينها وبين لغة العلم، إذ كثيرا ما يؤدي التداخل بين المفهومين أو جعلهما متطابقين إلى إحداث إشكاليات على مستوى الخطاب النظري والتطبيق، ومما يتفق عليه في هذا الصدد أن الخطاب العلمي يختلف عن الخطاب التعليمي، و يكمن ذلك في قضية فاعل الملفوظ و فاعل التلفظ، فالخطاب التعليمي يسعى إلى تأكيد شخصية الباحث الذي يتحدّد بمقابلته مع الدراسات الأخرى، فالضمائر الشخصية مثلا ليست نفسها في الملفوظين([[2]](#footnote-2))، أما على مستوى الملفوظات، فالخطاب العلمي شكله كالتالي : "تقول بأنّ س هو ع و أقول أنا س هو ص"، أما الخطاب التعليمي فشكله كالتالي : "ص هو ع"([[3]](#footnote-3))، وانطلاقا مما سبق، يمكننا القول إن الخطاب التعليمي عموما كممارسة فعلية خاصة للغة العربية الفصحى يثبت من جهة كلاما بدون فاعل (علمي)، و في الآن ذاته هو كلام مشروط و مقيد (تعليمي و تربوي)، أي "أنا =أنت" و "أنا مقابل أنت" في آن واحد. كما أنه (الخطاب التعليمي) يوجه إلى متلقين متعددي المشارب والتنشئة الاجتماعية والثقافية (بصورة التعدد والتنوع)، و ليس إلى متلق أحادي البعد أو نمطي، و يتأسس على هذه الطريقة حتى يكون واضحا لدى المخاطب (الطلبة أو التلاميذ) الذي يشارك في تحقيق العملية التواصلية مع المرسل( الأستاذ أو المعلم) الذي يملك حق القول والكلام و وجوب الشرح، فهو بهذا(الخطاب)يحقق و ظيفتين هما: وظيفة تعبيرية و وظيفة معرفية-ثقافية طبقا لمقولة كلود ليفي شتراوس (اللغة هي الأداة الأساسية والوسيلة المتميزة التي نتمثل بها ثقافة الجماعة التي ننتمي اليها)[[4]](#footnote-4)،يحتاج معهما إلى توجيه الخطاب وتعيينه لتحقيق الدقة والوضوح.

إن اللغة في الحياة البشرية ( ومنها لغة التعليم ) ظاهرة اجتماعية يتم اكتسابها واستعمالها (مرتبطة بالاستعمال الجمعي)،إذ يقول كلود ليفي ستراوس cloud livi strouss(الطفل يتعلم ثقافة الجماعة التي ينتمي اليها، لأننا نكلمه ونتحدث إليه)[[5]](#footnote-5)، ذلك أنه من الأمور البالغة الأهمية في حياة البشر ظاهرة التواصل اليومي التي تجري بين الناس رغم اختلافهم الفكري والعقدي والسياسي...، فالتواصل متعدد الأوجه يجري بين أفراد البشر من حيث استعمال وسائل متنوعة، وتعد أفضل وسيلة وأسماها هي اللغة "كأصوات يعبر بها مختلف الأقوام عن أغراضهم"[(](https://www.alukah.net/literature_language/0/123340/" \l "_ftn2)[[[6]](#footnote-6)](https://www.alukah.net/literature_language/0/123340/" \l "_ftn2)[)](https://www.alukah.net/literature_language/0/123340/" \l "_ftn2)[،](https://www.alukah.net/literature_language/0/123340/" \l "_ftn2) وفي مجال التعليم يعد استعمال اللغة أمرا مهما نظرا لما يترتب عنه من أهداف مسطرة ونتائج منشودة ومتوقعة، وإن لم تكن دقيقة التحقق "نسبيا"، و تسعى البرامج التعليمية في الوطن العربي إلى حد ما تقديم المقررات باللغة العربية الفصحى كأداة اتصال داخل المدارس رغم تعدد اللهجات في كل دولة عربية، مما يجعل الانتقال إلى لغة مدروسة ديداكتيكيا بكل مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية، وما تحفظه من تراث وعقيدة ( غير متداولة في الحياة الاعتيادية) أمرا صعبا لاعتمادها كوسيلة لنقل المعارف والعلوم، إذ هي نفسها تُعدُّ هدفا للدراسة والتعلّم، تحتاج لإدراكها واستيعاب نظامها بكل مستوياتها إلى إطار زمكاني يسمح بالإحاطة بها أولا ثم اكتسابها كملكة لاستعمالها في مختلف الوضعيات العملية، وقد أدى ذلك ببعض الباحثين في مجال العملية التعليمية-التعلمية إلى الدعوة لاعتماد اللهجات كلغة للتعليم رغم ما في ذلك من سلبيات على مستوى التطبيق والنتائج، كما أن اللهجات في معظمها لا تنضبط لسنن وشفرات(لسان) واضحة، وهو أمر عانت منه أيضا الدول المتقدمة كأمريكا وبريطانيا مثلا، وما شهداه من نقاش في هذا الموضوع، فتمخض عن ذلك فريقان أحدهما يدعو لاعتماد الإنجليزية الفصيحة نمطا لغويا للتعليم لدمج الطفل ذي اللهجة المحلية في المجتمع الأكبر([[7]](#footnote-7))، وهذا النقاش مازال مطروحا في عالمنا العربي بخصوص العربية الفصحى كنمط لغوي في التعليم، ومن ثم نجد لغة التعليم تحاول أن تكون وسيطا لتعلم اللغة في ذاتها كهدف وجعلها وسيلة لتحصيل المعارف والعلوم في الآن ذاته، وبذلك تحمل مجموعة من الخصائص تجعلها تتصف بأنها لغة استدلالية في أشكالها الخطابية باعتبار أن كل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعدا حجاجيا"([[8]](#footnote-8))، فإذا فقدت اللغة العربية هذا البعد في استعمالها داخل الفصول الدراسية، فإنها تبقى بعيدة عن مسؤولية حمل المعارف والأفكار التي تتعلق بجميع الفروع الأدبية والعلمية المقررة للمتعلمين في جميع المستويات، وهكذا فإن أهم الغايات في تعليم العربية يتمثّل في تفعيل وتوسيع مجالات توظيفها (خاصة في المواد الرياضية والعلمية) بشكل عملي يجعلها تتدخل في بلورة آراء و سلوكيات المتكلم أو المتلقي عن طريق التأثير فيهم بحملهم على الوصول إلى نتائج تم التوصل إليها، و الاقتناع بها، و هذا ما نلمسه في الخطاب التعليمي، فالمتكلم (المدرس) يحاول إقناع المتلقي (الطلبة) بالنتائج التي تم التوصل إليها في المجال الذي يتحدث فيه، و عملية الإقناع هذه تتجلى من خلال الأساليب اللغوية التي تتدخل في تحديدها، و هذا ما يثبته القول الآتي : "إن التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما، ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال، و ليس فقط بالأخبار التي تشمل عليها" **(**[[9]](#footnote-9)).

2\_**تفعيل لغة التعليم ببعدها الحجاجي-الاستدلالي :**

تتمتع اللغة في جميع الميادين بعدة خصائص إجرائية وأسس معرفية تمكنها من أداء وظائفها التي تناسب المجالات الاستعمالية لها، ومن ضمنها ما تتمتع به من أبعاد استدلالية تدفع المخاطب إلى الاهتمام بقصدية المتكلم، فتنقله من مستوى الإقناع إلى مستوى التأثير ليقتنع بكلامه، بل ويتبنى ما جاء فيه ويتفاعل مع أهدافه ومراميه، ومما يمكن رصده في هذه الدراسة حجاجية لغة التعلم، وما تتطلبه هذه اللغة من تقنيات إجرائية ليكون خطابها فاعلا بثنائية "التأثير والإقناع "، ولقد صنف "رونو بنوا" خطابات اللغة ووضع لها مقاييس في سياق ما يميز النص الحجاجي عن غيره، فقد أشار إلى عدة أمور وشروط لكي يكون النص حجاجيا، تتلخص فيما يلي :([[10]](#footnote-10))

1 -أن يكون النص له قدرة حجاجية على التأثير في المتلقي، وقد أسماه(القصد المعلن).

2 -أن يكون مستثمر وموظف النص الحجاجي عارفاً بسيكولوجية مخاطبه وثقافته، وأن يكون حاملاً لطاقة بيانية إيجابية وقوية تؤثر في المتلقين.

3 -يسعي مبدع النص الحجاجي إلى البرهنة التي إليها ترد كل التقنيات كالإقناع والاستدلال، ويعمل علـى دراسة مؤهلات المتلقي وثقافته الفكرية والعاطفية والعقدية وإيمانه بالأشياء، فيأخذ بعين الاعتبار تعدد المواقـف واختلافها وتنوعها "فلسفة الاختلاف"، فيعد الآليات الحجاجية التي يسندها بالدلائل والبراهين التي تؤثّر في المخاطبين و تغير اعتقاداتهم. ولا يمكن اعتبار كلّ خطـاب حجاجيـا، فالأخير يظهر في أوقات **الشك والالتباس**، لذلك يعمد صاحب الخطاب إلى إشغال فكـره مـن أجل كشف ما التبس عن المخاطبين والتأثير فيهم، وعلى ضوء هذه المقاييس، يمكننا وضع الخطاب التعليمي( النصوص والكلام) ضمن النصوص الحجاجية بجدارة، لكونها تنجز من أجل التأثير والإقناع بوجود متلق من نوع خاص، وذلك على اعتبار أنه يحتاج إلى هذا الخطاب كي يتمكن من تحصيل المعارف والعلوم التي تم إقرارها له ضمن تخطيط تعليمي قصير أو بعيد المدى، ولذلك نجد الجهود تكثف في وضع المناهج والبرامج التعليمية مع التركيز على القناة الأساسية وهي اللغة ومواصفات تدريسها، فتوضع معايير محددة درست بعناية لتنسجم مع الأهداف التي برمجت لها، وهو ما ينعكس على لغة المدرسين التي يسعون من خلالها إلى جلب انتباه المتعلمين، وإيصال الأفكار والدلالات بأبسط الطرق وأنجعها، بل لا نكاد نجد مدرسا ناجحا يدخر جهدا لغويا باستعمال ما لديه من رصيد معرفي في اللغة العربية ليضعه في خدمة تلاميذه، ليصل بهم إلى الجدارات "الكفايات" المسطرة من الوحدات التعلمية أو المحاور والمواضيع المقررة في البرامج والمقررات الدراسية.

**3\_خصائص ومميزات لغة التعليم بين المكتوب والمنطوق :**

تعتمد كتب اللغة العربية في المرحلة الابتدائية على المقاربة النصية في تناول الوحدة اللغوية ، وبهذا كان النص المنطوق أو المكتوب يمثل البنية الكبرى التي ظهرت فيها كل المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية، و من خلاله يتم إنماء كفاءات ميادين اللغة الأربعة : فهم المنطوق ، التعبير الشفوي، فهم المكتوب، الإنتاج الكتابي ([[11]](#footnote-11))، ومما نرصده في هذا السياق غياب الكفاءة بين المنطوق والمكتوب في ميادين التعليم، فنجد اكتساب المكتوب أكثر تحققا من المنطوق ليس على مستوى المعارف إنما على مستوى الكفاية اللغوية التواصلية، ذلك أن المنطوق أكثر أهمية كونه أداة التواصل الأساسية، ويرتبط به الطفل قبل المدرسة في اكتسابه للعامية، فيحدث الاحتكاك بين اللهجة واللغة كأنهما لغتان، وهذا ما تحدث عنه ابن خلدون في فكرة التنازع بين ملكتين"ملكة الفصاحة الفطرية تتم في الطفل العربي منذ نعومة أظافره، حيث لم يعرف إلا العربية الفصحى، وإذا تنازعتا تعذر أن تتم الملكتان معا مثل :البربري الذي يتعلم العربية، ولا يمكن للعربية أن تهيمن على لسانه، فيظل في ملكات استيعابها محتشما، فالألسن واللغات كالصنائع، والأخيرة وملكاتها لا تزدحم، ومن سبقت له إجادة في صناعة، فقل أن يجيد في صناعة أخرى([[12]](#footnote-12))، فوظيفة اللغة أو الكلام هي التأثير في الآخرين أكثر من السعي إلى مجرد الإخبار أو الإعلان، فهذا يعني أنه من الصعوبة بمكان أن نفهم كليا خطابا ما، إذا اكتفينا بإرجاعه إلى صاحبه، ويعني كذلك أن نأخذ بالحسبان الثنائي الذي يشكّله المخاطب والمخاطب، ولذلك وجب تدريس اللغة العربية في بعدها التداولي الذي يربط اللغة بالحياة والتوظيف "إكساب المتعلم مهارات حياتية كالتعاون والعمل والنظرة الإيجابيين للحياة" داخل مجال مؤسساتي له قواعده اللسانية لقول أوسولد دوكرو osold dokro(لا ترتد العلاقات بين الذوات المتكلمة إلى التواصل بمعناه الضيق أي إلى تبادل المعارف، بل تندرج تحت هذه العلاقات أنواع كثيرة جدا من العلاقات البشرية، ويضع اللسان لها إطارا مؤسسيا، ويقدم لها الأساس الذي تقوم عليه)[[13]](#footnote-13)، و من خلال مبدئها العام المتمثل في أن الوظيفة الأساسية لأي لغة طبيعية هي التواصل في سياق القواعد اللسانية المؤسسية، وهذا الربط له دوره في إعادة الحيوية للغة العربية، وإخراجها من نطاق اللغة الأدبية المكتوبة إلى فضاء أرحب وأوسع، يشمل كل ما له صلة بالحياة العملية والعلمية ([[14]](#footnote-14))، لأن استثمار المفاهيم التداولية في تعليم اللغة والتعلّم بها يقوم على ثنائية مهمة في تعليم اللغة تكمن في الاستعمالوالتواصل، مما يسهم في إنجاح العملية التعليمية باكتساب المعارف اللغوية وغير اللغوية التي تعتمد أساسا على هذين الثنائيتين، باعتبار أن عناصره الأساسية ( المعلم والمتعلم ومادة التعلم)تحتاج في تأدية وظائفها على التواصل بين أطرافها، فالمعلم ( ملقي) والمتعلم ( متلقي) والمادة اللغوية مضمون التعلم، وقد تتغير العلاقة، فيصبح الملقي متلقيا والمتلقي ملقيا إذا كان المتعلم في حالة إجابة عن سؤال أو تحرير تعبير شفوي أو كتابي، وهي أشكال الخطاب أو الحوار في التدريس.

وهكذا يمكننا رصد هذه العلاقة في ضوء المقاربة التداولية التي تبحث في تحليل الخطاب وفق ثنائية الملقي والمتلقي ضمن نظرة تكاملية تأسست انطلاقا من استراتيجية اللسانيات التداولية التي تعنى بخصائص اللغة في التوظيف، وهو ما نحتاجه في تفعيل العلاقة بين عناصر **العملية التعليمية-التعلمية**، خصوصا لغة التعليم(المنطوقة والمكتوبة)كوسيلة ذات فاعلية تأثيرية موجهة للفهم والإدراك.

**4\_ اللغة وبعد ها التواصلي في المحيط المدرسي:**

يعرف ابن خلدون اللغة عموما بأنها : "عبارة عن فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل و هو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"([[15]](#footnote-15))، كما يقول في ذات السياق أيضا :" اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب"([[16]](#footnote-16))،ولعل أهم المشاكل التي تعترض الطلبة والتلاميذ في شتى المراحل الدراسية، نجد المواد الأدبية خاصة يعانون فيها من عدم التمكّن من الملكة اللغوية، إذ ينتقل الطلاب من مستوى إلى آخر رغم نقص التحصيل على مستوى اللغة، وغالبا ما يكون للمعينات الموظفة دعم كبير للطلبة لفهم المقررات واجتياز الاختبارات، مما يجعل التمكن من استعمال العربية الفصحى شيئا ثانويا عند بعض الدارسين، وهو ما يدفعهم للبحث عن أسباب أخرى غير لغوية لتراجع مستويات الطلبة والتلاميذ، بل قد يحصرونها في الجوانب البيداغوجية أو النفسية أو الاجتماعية، وهي أسباب موجودة بالفعل، لكنها لا تغني عن التحصيل اللغوي الذي يذلل صعوبات الفهم ونقص الاستيعاب للمعارف والمفاهيم، وهذه الملكة أكدها ابن خلدون في قوله: "تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع و التفطن لخواص تراكيبه، و ليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك... فإن القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان و لا تفيد حصول الملكة في محلها" ([[17]](#footnote-17))، و عليه يعد إكساب المتعلم القدرة التي تمكّنه من **الاتصال اللغوي الواضح السليم** أحد أهم الأسباب المهمة لتعلم اللغة؛ سواء أكان هذا الاتصال **شفوياً أو كتابياً**، ويمكن أن يتحقق هذا الهدف من خلال مهاراتها الأربع: الاستماع – التحدث – القراءة – الكتابة؛ باعتبارها أركان الاتصال اللغوي، فاللغة العربية كل متكامل يتأثر كل فن من فنونها بالفنون الأخرى([[18]](#footnote-18))، وهكذا تبرز قدرات المتعلمين في طريقة التعبير اللغوي عن مكاسبهم العلمية والفكرية، هذه الأخيرة التي تعتبر مرآة تنعكس فيها، ولو بشكل غير مباشر، ملابسات وظروف مستخدميها وأوضاعهم الثقافية والحضارية، فيتحول حينئذ درس اللغة العربية فيما معناه إلى درس أحوال الثقافة والحضارة العربيتين، وفي هذا الإطار تنتعش شروط المقابلة بين اللغة العربية وثقافتها من جهة، واللغات الأجنبية على اختلاف ثقافاتها و تعددها الحضاري من جهة ثانية([[19]](#footnote-19)).

**5\_ لغة التعليم والأداء بالصفوف الدراسية:**

يؤثر تعدد اللسان للشخص الواحد كثيرا في تمكنه من لغة ما، ولعل ذلك يظهر أكثر لدى الطلاب العرب عندما ينتقلون إلى المدرسة بعادات وحمولات لغوية وثقافية متنوعة تتمثل في لهجات مختلفة، وإن كانت تعود في أصلها إلى اللغة العربية الفصحى، إلا أنها تعد لغة ثانية باعتبار الممارسة والتداول اليومي، لذلك تحتاج إلى تفعيل القدرات والأدوات داخل الأقسام والفصول الدراسية لتكون وسيلة تواصل وتعبير عن مختلف المعاني والأغراض التي يحتاجها المتعلمون، ومن ثمة يمكننا القول إن نجاح العملية التعليمية مرتبط بمدى نجاح إكساب التلاميذ لغة صحيحة يمكنهم من خلالها فهم المقروء والتعبير عن الأغراض والأفكار في المواقف المختلفة، ويجب أن تتمتع اللغة داخل الصفوف الدراسية بمجموعة من الخصائص لكي تساعد على استثمارها بمرونة وتلقائية دون اللجوء إلى العامية، وما يختلط بها من لغات أجنبية (كالعامية في الدول المغاربية وما يشوبها من استعمال الفرنسية كمخلفات للاستعمار "المثاقفة")، من هذه الخصائص ما يلي :

* أن تكون لغة التعليم لغة واضحة ومستوعبة.
* أن تكون لغة قصدية وتستهدف فئات معينة من متحدثي اللغة.
* أن تكون هادفة تحمل المعارف والعلوم التي تدرس في كل مرحلة أو مستوى دراسي
* أن تتضمن لغة التعليم أدوات أكثر تأثيرا وإقناعا، من ضمنها أدوات التوكيد والتقرير.
* أن تحمل هذه اللغة في مضامينها الأشكال اللغوية المناسبة لمستويات المتعلمين ليسهل ترسيخها في أذهان المتعلمين والنسج على غرارها.

**6\_أهمية تفعيل اللغة العربية ودورها في تجويد مخرجات التعليم:**

يجب أن تتسم لغة التعليم بمجموعة من الخصائص لتكون ذات فاعلية في الفهم و الاستيعاب، إضافة الى دورها في عمليتي التحصيل والاكتساب، وتتمثل هذه الخصائص شكلا ومعنى على الشكل التالي:

* أن تكون لغة بسيطة في بنائها وتراكيبها وأسلوبها مع المحافظة على صفة الدقة و الفصاحة والبيان.
* أن تحتوي على مستويات متفاوتة تراعي مستوى الطلاب في كل مرحلة أو مستوى دراسي، وتناسب قدراتهم الاستيعابية ومراحل نموهم النفسي والعمري.
* ضرورة انسجام لغة الكتاب المقرر ولغة الحوار والنقاش داخل الصف لكي لا يحدث شرخا بين المنطوق والمكتوب.
* تستمد نماذجها وأنماطها التوظيفية من المؤلفات والأعمال الأدبية المعاصرة التي تتوافق مع إدراك التلاميذ للواقع المعاصر بمستجداته ومتغيراته المتسارعة خاصة في ضوء النقلة التكنولوجية القوية، والتي تفرض ضرورة مواكبة اللغة العربية لهذا التقدم التقني الكمي إلى جانب الكيفي، كما تصوره الفيلسوف الألماني هربرت ماركيوز في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد".

6**\_ فاعلية وجدوى اللغة في تسهيل عمليتي الفهم والاكتساب:**

تسعى الهيئات المشرفة على برمجة المقررات التعليمية إلى التركيز على لغة التعلم والتعليم من عدة جوانب شكلية ومعنوية لتحقق الهدف من توظيفها واستثمارها، والذي يتمثل في تحقيق التواصل بين التلاميذ ومواد التدريس على اختلافها مع خصوصية اللغة كونها الوسيلة والهدف في الوقت ذاته، فقبل الاكتساب تكون هدفا في سنوات التعليم الأولى، لتتحول بعد ذلك إلى وسيلة حاملة للمعارف على اختلافها (العلمية والأدبية).

تمثل اللغة داخل الفصول حوارا بينيا أو متعددا، بين المدرس والمتعلم أو بين المدرس والمتعلم والمقرر الدراسي، وهو ما يبوئها مرتبة سامية في العملية التعليمية-التعلمية، إذ تؤثر سلبا أو إيجابا بحسب فاعلية توظيفها واستعمالها من لدن أطراف هاته العملية، وعادة ما يسعى المعلمون (ذوي مهارات وكفاءات مناسبة)في جميع مستويات التعليم إلى اختيار لغة مستمدة من المقررات وتتلاءم مع مبادئ اختيار عملية منها ([[20]](#footnote-20)):

* مستوى التلاميذ والاستعداد لتعلم اللغة.
* دافعية وقابليات التعلم لدى التلاميذ

وبهذا يتم النقل الديداكتيكي للغة بصيغة تفاعلية متعددة الجوانب لتحقق اكتساب المهارات اللغوية المناسبة كهدف رئيسي من التعلم ( تحقق بواسطة اللغة)، كما ينسجم مفهوم اكتساب المهارات مع مفهوم تحصيل المعارف، كما جاء في بعض التعاريف لعملية التعلم على أنها "نشاط يهدف إلى اكتساب المهارات والحصول على المعرفة الجديدة، والإنسان هو المقصود في هذه العملية، بالرغم من قدرة الحيوانات على التعلّم، وتتحقق هذه العملية التعليمية عند انعكاسها على السلوك والقيم والأفكار وغيرها"([[21]](#footnote-21))، فاللغة هي العمود الفقري لكل تعلم وأداء ناجحين، ومفتاح لكل فهم سليم للمواقف والوضعيات الصفية والحياتية التي يجابهها المتعلم ويعمل على حلها.

**6\_2\_ فاعلية اللغة في تجويد التعلمات** :

يتم توظيف اللغة في مجال التعليم على نحو إقناعي وإفهامي لتوجيه اهتمام المتلقي ( التلاميذ) لتبليغ ما برمج من معلومات بشكل تفاعلي عن طريق مجموعة من الآليات الموجهة للخطاب التعليمي، فيلجأ المدرس إلى استعمال ما تمنحه اللغة من إمكانيات متعددة منها:الصوتية والصرفية والنحوية والإملائية والمقامية والحالية والوصفية والجمالية والتعبيرية، ويقول عبد الفتاح كليطو(اللغة هي الضيفة، ضيفة مشاكسة تحل عنده دون استئذان فتتملكه، وتسكنه على الرغم منه)[[22]](#footnote-22)..لإيصال الأفكار بطريقة صحيحة وواضحة لتحقق التقبل والاستيعاب لدى التلاميذ باختلاف الوضعيات والأحوال التعليمية في كل مرحلة ومستوى دراسي، وما بينها من قواسم وتقاطعات معرفية ولغوية و مهارية ووجدانية، ومما يمكن رصده في هذا المضمار هو العلاقة بين ذهن المتلقي (التلميذ) والأفكار أو المعارف المراد تبليغها عبر الوسيلة المرنة المتمثلة في اللغة بمعاييرها الاستعمالية مع الحفاظ على قواعدها التي تكفل الوضع والسياق والمقام الاستعمالي لها، فوساطتها في مجال نقل المعارف والمعلومات والمشاعر تتطلب كمية من الاقناع والمحاججة تُستثمر فيها جميع الإمكانيات اللغوية وغير اللغوية المساعدة لتحقيق غاياتها من التحصيل، فتعريف الاستعارة مثلا في درس البلاغة يستلزم أمثلة متعددة لاستنباط القاعدة وفهمها ،ومن ثمة إنتاجها بأشكال إبداعية لدى التلاميذ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم التحصيل، ومفهوم الشجاعة أو الكرم وقيمتهما الإنسانية يتطلب نصا كاملا يحتوي أحداثا وحوارا وبداية ونهاية للأحداث لكي يؤثر فيه كل ذلك ويقتنع بدور هذه الصفات في حياته وحياة البشر عامة، وهذا هو المطلوب من تدريس مثل هذه النصوص وتفعيلها على مستوى المنطوق لإضافة العناصر التأثيرية الجاذبة والتشويقية لدى المرسل للخطاب(المعلم) والمخاطب (التلاميذ)،وللإشارة فاللغة العربية بحروفها المعدودة يمكن أن يؤلف منها كلمات وجمل وعبارات ونصوص بشكل لامتناه يناسب الوضع والمقام التعليمي، ومهما اختلفت الوضعيات التعلمية المعالجة، فما على المدرس سوى اختيار الطرق والأساليب والأشكال الديداكتيكية المناسبة لعملية التبليغ للخطاب وبشكل يناسب المرحلة الذهنية والعمرية للمتعلم، ومن بين الوسائل لتسهيل هاته العملية استعمال التكنولوجيا الحديثة بلغة عربية سليمة أثناء إيصال المعلومة للمتعلم.

**خاتمة و توصيات:**

إن التركيز على لغة التعليم والتعلم في اكتسابها وممارستها يمثل حلا لأغلب مشكلات التعليم، لكونها تعود أساسا إلى ضعف التواصل أو غيابه تماما مع غياب منهجية محددة لتدريس اللغة وتحقيق الكفاية اللغوية والتواصلية، وذلك بسبب وجود عدة عوامل منعت مسيرة التدريس في عالمنا العربي بشكل ناجع ومجود في ظل تعدد اللهجات وكثرة الدخيل الاستعماري فيها، مما أدى إلى اكتساب الطفل لهذه اللهجة كلغة أم، مما حد من اكتسابه للعربية الفصحى كلغة للمدرسة، بل تحولت الأخيرة إلى لغة ثانية قد تحتاج من المتخصصين في حقل العملية-التعليمية الاستعانة بطرائق تدريس العربية للناطقين بغيرها وتعديلها بما يتلاءم مع الوضعية التعليمية، ويجدر بالذكر أن لغة التعليم يجب أن تركز على الجانب المنطوق كونه الأكثر فائدة، فمن خلاله تظهر الكفاية التواصلية والثقافية، ويربط من خلاله المتعلم بين مكتسباته اللغوية و حاجاته ومتطلباته المرتبطة بالمواقف والسياقات الثقافية المختلفة، واللغة العربية تحتاج جهود أبنائها لتطوير آليات تعليمها مستعملين ما أتاحته التكنولوجية الرقمية من إمكانيات هائلة لتمكينها من إثبات مكانتها كلغة تواصل علمي وتعليمي عالمية وكونية، وليست قومية فقط، فهي لغة القرآن الكريم العالمية، فما على أبنائها سوى تطوير سبل وطرق وأساليب تعليمها للإنسان على الكوكب عن طريق مواكبة متغيرات العصر المتهافتة في مجال الرقمنة كوسيلة لتسهيل تعميمها في بعدها الكوني.

**المصادر والمراجع :**

**باللغة العربية**

محمـد العربـي، **البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام،** رسالة ماجـستير، إشـراف. د : عبـد الخـالق رشيد، الجامعة اللسانية -وهران، الجزائر، 2008 -2009.

ابن جني، **الخصائص**. ت: محمد علي النجار.ط4.الهيئة المصرية للكتاب. 1999.

* الحواس مسعودي، **علم النص، "البنية الحجاجية في القرآن الكريم**"، مجلة اللغة و الأدب العربي (ملتقى)، العدد 12، ديسمبر 1997.

- ابن خلدون، **المقدمة**، ت: عبد السلام الشدادي، ط1. الدار البيضاء.( خزانة ابن خلدون بين الفنون والعلوم و الأدب).

- علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية، دار الشواف** القاهرة-مصر **طبعة 1991** ص9

- عبده الراجحي، **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**.ط2. بيروت، لبنان. دار النهضة العربية.2004.

- علي حسين حجاج، د. عطية محمود هنا، **نظريات التعلم**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.

- الفاسي الفهري، **اللسانيات واللغة العربية**. المغرب. دار طوبقال للنشر.1985

- عبد الفتاح كليطو "في ضيافة اللغة" مجلة فلسفة عدد مزدوج 7/8 سنة1999

-**باللغة الفرنسية**

-Ducrot et Anscombre, **L’Argumentation dans la langue**– Bruxelles,.1983.

-Bouacha ,**Le Discours universitaire**- Berne, Peter lang, 1984.

1. -إميل بنيفينيست "قضايا اللسانيات العامة" غاليمار باريس 1996 ص 27 [↑](#footnote-ref-1)
2. (Bouacha , Le Discours universitaire - Berne, Peter lang, 1984p. 62. [↑](#footnote-ref-2)
3. )IBID. p. 62. [↑](#footnote-ref-3)
4. -كلود ليفي ستراوس "حوارات مع شاربونيي بلون باريس 1996 ص 184 [↑](#footnote-ref-4)
5. -كلود ليفي ستراوس"حوارات مع شاربونيي بلون" باريس1969 ص 184 [↑](#footnote-ref-5)
6. ابن جني، **الخصائص**، الجزء الثاني، ص34 [↑](#footnote-ref-6)
7. - عبده الراجحي، **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية-مصر طبعة 1995 ص95. [↑](#footnote-ref-7)
8. - الحواس مسعودي، **علم النص** "**البنية الحجاجية في القرآن الكريم**"، مجلة اللغة و الأدب العربي (ملتقى)، العدد 12، ديسمبر 1997،ص.330. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( Ducrot et Anscombre ,L’Argumentation dans la langue – Bruxelles, (1983), p9. [↑](#footnote-ref-9)
10. - محمـد العربـي،**البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام،** رسالة ماجـستير، إشـراف الد كتور: عبـد الخـالق رشيد، الجامعة اللسانية، وهران، الجزائر، 2008 -2009. ص16. [↑](#footnote-ref-10)
11. [↑](#footnote-ref-11)
12. 1- ابن خلدون، **المقدمة.** [↑](#footnote-ref-12)
13. -اوسولد دوكرو "ما يقال وما لا يقال هرمان 1972 ص 4 [↑](#footnote-ref-13)
14. - یحي بعیطیش، **نحو نظرية وظيفية للنحو العربي**، دار النشر جامعة منتوري، قسطنطينية، الجزائر طبعة 2006، ص 547. [↑](#footnote-ref-14)
15. ) ابن خلدون، المقدمة الطبعة الأولى ، الجزء الثالث ص 237. [↑](#footnote-ref-15)
16. ) نفس المصدر السابق ص250. [↑](#footnote-ref-16)
17. -نفس المصدر السابق.ص265. [↑](#footnote-ref-17)
18. - علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية، دار الشواف** القاهرة-مصر **طبعة 1991** ص9 [↑](#footnote-ref-18)
19. - الفاسي الفهري، **اللسانيات واللغة العربية**، دار توبقال للنشر، المغرب،طبعة 1985 ، ص 194. [↑](#footnote-ref-19)
20. -عبده الراجحي، **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية،** ص 93. مرجع سابق [↑](#footnote-ref-20)
21. -د. علي حسين حجاج، د. عطية محمود هنا، **نظريات التعلم**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.ص7( بتصرف) [↑](#footnote-ref-21)
22. -عبد الفتاح كليطو "في ضيافة اللغة" مجلة فلسفة عدد مزدوج 7/8 سنة1999 ص24 [↑](#footnote-ref-22)